

المجلة العلمية للدراسات التاريخية والحضارية

Scientific Journal of Historical and Civilizational Studies

العدد السابع

يونيو / 2021 م

قلعة قصر درنة في ضوء الوثائق العثمانية ورسومات الرحالة

خليفة خليفة يوسف[1]   سهام عبد الرازق القضائني[2]

الملخص

ظهرت في الآونة الأخيرة بعض الوثائق العثمانية التي تعنى بموضوع مصاريف إنشاء قلعة درنة العثمانية. وهي وثائق تاريخية هامة في كونها تعرض أسلوب الإدارة العثمانية في إثقال كاهل الأهالي بفرض الإتاوات والضرائب في بناء المنشآت العامة. تكمن أهمية الموضوع في انفراده بدراسة وتحليل ونشر هذه الوثيقة، بالإضافة إلي تناوله قلعة درنة العثمانية معماريا وفنيا، ويرجع سبب اختيار الموضوع الي قلة الدراسات التي تناولت العمارة الحربية العثمانية في مدينة درنة باستثناء دراستي: (الدراجي، 2003) و(اسرافيل، 2018) اللتان تناولتا موضوع القلاع العثمانية بدرنة.

تهدف الدراسة إلي التعريف بالتحصينات العثمانية الحربية بمدينة درنة، وتناول موضوع تاريخ عمارة قلعة قصر البلاد العثمانية. ولتحقيق هذه الأهداف افترضنا أن تحليل ملاحظات الرحالة ورسوماتهم حول قلعة درنة ستسهم في تقديم معلومات وفيرة حول تصاميم القلاع العثمانية المندثرة في مدينة، وسيتبع البحث المنهج التاريخي والوصفي التحليلي. أما من ناحية حدود الدراسة: الحد المكاني: مدينة درنة، والحد الزماني: يتوافق والوجود العثماني بإقليم برقة، ويأمل الباحثان في الوصول إلي نتائج محددة حول تخطيط وعمارة قصر البلاد العثماني بدرنة.



تنقسم هذه الدراسة إلي شقين: شق نظري تاريخي يتطرق الي الوجود العثماني بإقليم برقة، والشق الثاني تطبيقي يتناول عمارة القصر ومخططه الهندسي.

الكلمات المفتاحية: درنة – قلعة – قصر.

Abstract

[1] عضو هيأة تدريس بكلية السياحة والآثار/ جامعة عمر المختار

[2] عضو هيأة تدريس بكلية السياحة والآثار/ بجامعة عمر المختار

Recently, some Ottoman documents have appeared that deal with the expenses of establishing the Ottoman castle of Derna. These documents are important historical documents in that they show the Ottoman administration's method of burdening the people with imposing royalties and taxes in the construction of public facilities. The importance of the topic lies in its uniqueness of studying, analyzing, and publishing of this document, in addition to the architectural and artistic studying of the Ottoman castle of Derna. The reason for choosing the topic is due to the lack of studies that dealt with Ottoman war architectures in the city of Derna except for the two studies of (Darraji, 2003) and (Israfil, 2018) which discussed the topic of the Ottoman castles in Derna.

The study aims to introduce the Ottoman military fortifications in the city of Derna, and it deals with the history of the architecture of the Ottoman Palace of (Qaser Al-Bilad.) To achieve these goals, we assumed that the analysis of travelers' observations and drawings about Derna Castle would contribute to providing abundant information about the designs of the vanished Ottoman castles in the city. This research will follow the historical and descriptive analytical methodology. As for the boundaries of the study: the spatial boundary is the city of Derna, and the temporal boundary is the duration of the Ottoman presence in the province of Cyrenaica. The researchers hope to reach specific conclusions about the planning and architecture of the Ottoman Palace of (Qaser Al-Bilad) in Derna .



This study is divided into two parts: a theoretical historical part that discusses the Ottoman presence in the province of Cyrenaica, and a second practical part that discusses the palace architecture and its engineering design.

Keywords: Derna - Castle – Palace.

المقدمة

مع وصول العثمانيين إلي برقة وسيطرتهم علي بنغازي سنة 1048هـ/1638-1639م، سعوا إلي التوغل داخل إقليم برقة حتى مدينة درنة[3]، غير أن وجودهم بالإقليم لم يستمر طويلا إذ سرعان ما ثار عليهم أهالي مدينتي بنغازي ودرنة ثورة عارمة سنة 1054هـ/1644م بسبب جور الجنود الأتراك وقسوتهم في جمع الضرائب، ونتيجة لهذا قام باشا طرابلس بسحب جنوده من إقليم برقة[4]، وقد ذكر شارل فيرو أن سكان درنة من الثغريين والاندلسيين كان لهم دورا أساسيا في هذه الثورة بتحريضهم للبرقاويين علي طرد الأتراك الظالمين من بلادهم[5].

اختلطت الأمور في برقة بعد خروج الأتراك العثمانيين عنها، وظهرت بها تحالفات سياسية جديدة، دفعت ثمنها القبائل التي أيدت الاحتلال العثماني لبرقة، وخلال ذلك ظهرت قيادات قبلية جديدة، سيطرت كل منها علي مناطق نفوذ لها داخل الاقليم، ومن أبرز هذه الزعامات المدعو حسن الثغري زعيم إحدى الطوائف الأندلسية المستقرة في درنة، والذي كانت نجدته لأهالي بنغازي ضد الأتراك سنة 1644م سببا في سطوع نجمه بين البرقاويين، وقام بإخضاع القبائل المحيطة بدرنة والجبل الاخضر عنوة، وقد كللت انتصاراته هذه بالسيطرة علي بنغازي بالقوة، لكن سرعان ما دب الشقاق داخل هذا البيت الأندلسي الحاكم، فنشب صراع دامي بين أندلسي إقليم ثغارين وأندلسي غرناطة، أدى إلي هزيمة الغرناطيين وهروب زعيمهم ابن فاضل إلي طرابلس طلبا للمساعدة، والذي ما أن وصلها، حتى شرع في ربط العلاقات مع قياداتها فتعرف علي آمر السجون المدعو محمود كيخيا، ونشأت بينهما صداقة حميمة، استغلها ابن فاضل لتقديم نفسه لحاكم طرابلس عثمان الساقزلي، وطلب منه الدعم للعودة إلي برقة، وقد استغل ابن فاضل الكراهية التي يكنها حاكم طرابلس الساقزلي تجاه أهالي برقة الذين تمكنوا قبل سنوات من طرده منها عندما قاد حملة العثمانيون الأولي علي برقة، وبالفعل استجاب باشا طرابلس لطلب ابن فاضل، وأرسل معه حملة عسكرية بقيادة



[3] شارل فيرو (1994). الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي. ترجمة محمد عبد الكريم الوافي. ط3. بنغازي. منشورات جامعة قاريونس. ص148.

[4] فرانشيسكو روفيري (2003). عرض للوقائع التاريخية البرقاوية، التاريخ الكرونولوجي لبرقة (1551-1911م)، ترجمة ابراهيم المهدوي. طرابلس. مركز جهاد الليبيين. ص39، انظر ايضا كوستانزيو برنيا (1985) طرابلس من 1510 إلي 1850م، ترجمة خليفة التليسي. مصراتة. الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان. ص134.

[5] شارل فيرو، المرجع السابق، ص152.

"محمود خلف كيخيا"، لاسترجاع اقليم برقة لحضيرة الدولة العثمانية، حيث اتجهت الحملة إلي بنغازي، وسيطرت عليها في ابريل 1656م، ثم واصلت تقدمها السريع إلي درنة، واكتسحت قوات الثغريين وحلفائهم، وتمكن الأتراك من القبض علي زعيم الثغريين وشنقه في ساحة المدينة[6]، واسند الكيخيا أمور المدينة لرفيقه ابن فاضل الاندلسي، الذي قام بالتنكيل بمناصري الثغريين من القبائل المجاورة للمدينة، مما اثار سخط الأهالي والقبائل المحايدة القريبة من درنة، فخفت حده تأييدهم للأتراك، وعقدوا التحالفات فيما بينهم ضد الأتراك في درنة، وتجمع منهم حوالي خمس وعشرون ألف مقاتل من قبائل برقة والبطنان، لمحاصرة درنة المقر الإداري الجديد للوجود العثماني في برقة[7]، ونتيجة لهذا خشت السلطات التركية في طرابلس تدهور الأمور إلي الأسواء فقام عثمان داي بتنحية ابن فاضل، وأسند حكم المدينة والاقاليم كلة إلي القائد العسكري للحملة محمود خلف الكيخيا[8]، وأيقن الأتراك بأهمية الإقليم فقاموا بتحصين مدنه الهامة بمجموعة من التحصينات التي شحنوها بالجنود والأسلحة، وطوال فترة العهد العثماني الأول شهدت برقة بصفة عامة ودرنة خاصة العديد من الاضطرابات التي كانت تفتك بالوجود التركي بها، ففي عام 1662م أنف سكان درنة من حكم الأتراك العثمانيين، وثاروا علي حاكم المدينة محمود خلف، فهرب إلي جزيرة كندية (خانية)، واستنجد بحاكم طرابلس الذي أرسل إليه قوة بحرية استطاعت دحر أهالي درنة واجتثت رؤوس قادتهم، ومكنت محمود خلف من العودة لحكم المدينة[9]، ولم تختفي أثار هذه الثورة وما خلفته من أحداث دامية بين السكان، حتى ثارت القبائل المحيطة بدرنة مجددا ضد عاملها التركي، الذي تجبر عليهم واستولي علي أموالهم، ولم تفلح مجهوداتهم في استرضائه فتحينوا الفرص للانتقام منه، وفي سنة 1710م سنحت لهم الفرصة بتحالفهم مع والي طرابلس المخلوع المدعو عثمان القهوجي[10]، فاستولت هذه القبائل علي درنة منذ هذا التاريخ وحتى وصول القرمانالليين إلي برقة.



انتهى العهد العثماني الأول عندما تمكن القرمانالليين من انتزاع السلطة في إيالة طرابلس اعتباراً من سنة 1711م وبقي الوضع في برقة ضبابيا مدة عشر سنوات، حيث لم يمتد نفوذ

---

[6] نفسه ص156-157.
[7] محمد بازامة (1994). تاريخ برقة، الجزء الأول، بيروت. دار الحوار. ص339.
[8] شارل فيرو. المرجع السابق. ص 157.
[9] أبو سالم العياشي (2006). الرحلة العياشية. ج1، ابوظبي. دار السويدي. ص204.
[10] ابو العباس محمد الناصري (2011). الرحلة الناصرية 1709-1710م. تحقيق عبدالحفيظ ملوكي. ابوظبي. دار السويدي. ص639.

القرمانالليين اليها، لانشغالهم في صراعات داخلية في طرابلس، وخلال ذلك عمت الاضطرابات ببرقة، وكانت الحروب القبلية فيها لا تنتهي، وغاب الأمن في طرق القوافل، وأصبحت ملاذا للخارجين عن باشا طرابلس[11]، ونتيجة لهذا قرر أحمد باشا طرابلس ضم اقليم برقة ومدنه الهامة لحضيرة دولته الفتية، فوجه سنة 1718م حملة عسكرية إلي برقة بقيادة شقيقه الحاج شعبان تستهدف مدينتي بنغازي ودرنة وضواحيهما، ورغم نجاح هذه الحملة في ضم معظم مناطق برقة لسلطة القرمانالليين إلا أن مدينة درنة قد تأخر ضمها بسبب الاضطرابات حتى سنة 1725م[12]، ومع تولي يوسف باشا الحكم في طرابلس كلف أخاه أحمد بيكا علي اقليم برقة سنة 1795م، الذي هرب الي تونس طالبا اللجوء السياسي، بسبب شعوره بالظلم من انتزاع كرسي إيالة طرابلس منه، ومع احتدام الصراع بين امريكا وباشا طرابلس سنة 1800م، استغلت امريكا الصراع داخل العائلة القرمانلية، فبادرت بالاتصال بالباشا المخلوع أحمد المتواجد في تونس، وساعدوه في محاولته الاولى في السيطرة علي درنة، غير أن محاولته هذه لم يكتب لها النجاح حيث لاقت مقاومة عنيفة من قبل عامل درنة وحاميته مما اضطر أحمد بك إلي اللجوء لمصر سنة 1802م[13]، لاجئاً من جديد، واحتمى بمحمد الألفي بصعيد مصر، إلي أن عاد الأمريكيون إلي استغلاله من جديد، عن طريق ايتون في فبراير سنة 1805م حيث عقدا وثيقة معاهده[14]، ثم سارعا في إثرها علي تجهيز حملة برية لإعادة أحمد بك لعرش طرابلس، تساندها حملة بحرية مكونة من ثلاث سفن حربية امريكية تواكب الحملة في مسيرها[15]، وقد وصلت الحملة في أواخر ابريل إلي درنة، وبمجرد وصولها تم محاصرة المدينة علي الفور، مما أدى إلي حدوث سلسلة من الهجومات المتبادلة، وقد انظم الأهالي إلي جانب الحامية



---

[11] من هذه الاضطرابات ما ذكره لنا كلا من ابن غلبون والنائب في احداث سنة 1127هـ/1715-1716م عندما قام المدعو ابو قيلة بخلع بيعته لأحمد باشا القرمانلي، وتبعه بعض الغوغاء من سكان الجبل الغربي ونواحيه، فشنوا الغارات ونهبوا اموال الرعية ومواشيهم، وارتحل هذا باتباعه الي الجبل الاخضر (درنة وبنغازي) فهادنه كبار أهلها واعطوه مالا، فتوجه احمد باشا للقائه وظفر به بالقرب من سرت، وقضى عليه هو واتباعه الفاسدين، وعقب عودته لطرابلس أصر الباشا علي ضرورة معاقبة درنة وبنغازي لتأييدها ثورة ابو قيلة اثناء وجوده في الجبل الاخضر، انظر: بن غلبون (2004). التذكار فيمن ملك طرابلس، بيروت. دار المدار. ص 284-285، أحمد النائب (1970). المنهل العذب، طرابلس. مكتبة الفرجاني. ص 286-287، شارل فيرو، المرجع السابق، ص278.

[12] يورد ميكاكي خبرا نقله عن رسالة للقنصل الفرنسي العام بطرابلس مارتين MARTIN مؤرخة في 20 يناير 1725م، بأن سكان مدينة درنة اعترفوا أخيرا -بعد مرحلة من القلاقل والاضطرابات- بأبن الباشا حاكما (بك) عليهم، ومعنى هذا ان درنة استمر عصيانها، ولم تدخل حضيرة الدولة القرمانلية حتى بعد قدوم حملة الحاج شعبان وانفضاض امرها، قبل ان تتمكن من ترسيخ الحكم القرمانلي بها، انظر رودلفو ميكاكي (1961). طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي. طرابلس. دار الفرجاني. ص38.

[13] اتوري روسي (1991). ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911. ترجمة التليسي. ط2. طرابلس. الدار العربية للكتاب. ص381.

[14] رودلفو ميكاكي. المرجع السابق ص 162.

[15] كوستانزيو برنيا (1985). طرابلس من عام 1510الي 1830. ترجمة التليسي. مصراتة. الدار الجماهيرية. ص250.

العسكرية التركية التابعة للباشا يوسف القرمانلي، غير أن جميع محاولاتهم بآت بالفشل إذ تمكن البك أحمد والجنرال ايتون السيطرة علي تحصينات المدينة، وطوال اسابيع وقعت مناوشات ومحاولات لاستعادة المدينة، لكن المدينة ظلت تحت سيطرة القوات الأمريكية، إلي أن وصلت السفينة الامريكية كونستيليشن إلي درنة بتاريخ 11 يونيو 1805م، حاملة معها الأخبار باتفاقية الصلح بين باشا طرابلس وامريكا، مما حدى برفع الامريكان الحصار البحري والبري عن مدينة درنة، ومغادرتهم لها، مصطحبين معهم البك أحمد بيك حسب نص الاتفاق.

تمتعت البلاد عقب الاتفاقية التي ابرمها يوسف باشا مع الامريكيين سنة 1805م بفترة من الرخاء والاستقرار، باستثناء ما حصل ببعض القبائل، التي يضمر لها الباشا العداء بسبب تأييدها لشقيقه أحمد في محاولته الأخيرة، حيث جرد لها حملة عسكرية سنة 1811م حملة تأديبية بقيادة ابنه البكر الأمير محمد، الذي سار بجيشه حتى وصل إلي مدينة درنة حاضرة الحدود الشرقية لمملكة والده، واسرف في القتل والانتقام مما لا قبل للناس به[16]، وقد أخذ هذا الأمير يمارس السلب والنهب في كل المناطق التي مر بها، حتى استطاع أن يخمد ثورة القبائل البرقاوية بكل عنف، وبعد عودته إلي طرابلس، كلفه والده حاكما لبرقة (بنغازي ودرنة)، والذي ما ان تسلم سلطته هناك حتى أعلن العصيان علي والده، مما اضطر الأخير بأن يوجه له حملة عسكرية سنة 1817م بقيادة أحمد بك الابن الثاني للباشا[17]، وعلي اثر ذلك انسحب الابن الثائر وفر إلي مصر، ومع وصول الحملة إلي برقة ارتكبت المجازر في حق القبائل المؤيدة للأمير محمد، ورجعت الحملة بعد أن استطاعت الحملة ارجاع الإقليم الي حاضر الدولة القرمانلية، ورغم هذه الحملات لم تهدأ برقة كليا وظلت الشغل الشاغل لحكام طرابلس حتى أفل عهدهم وعاد العثمانيون مجددا إلي مسرح الأحداث عام 1835م فيما يعرف بالعصر العثماني الثاني.

[16] رودلفو ميكاكي. المرجع السابق ص 166.

[17] Della-Cella (1830) Viaggio da Tripoli di Barberia alle frontere occidental dell Egitto, fatto nel 1817, dal D. Napoli, PP 11-12.

قلعة قصر البلاد:

ورد في مذكرات الرحالة الذين مروا بمدينة درنه خلال القرن التاسع عشر، أن المدينة تحوي علي ثلاث قلاع شيدت جميعها خلال العهد العثماني، وهي: قلعة قصر الحاكم (قلعة البلاد)، وقلعة الميناء عند شاطئ البحر، وقلعة الحصار أو القلعة الامريكية التي اقيمت عند التلال الجنوبية الغربية للمدينة، وقد تلاشت هذه القلاع وأصبحت أثرا بعد عين، حيث ازيلت قلعة الحصار تدريجيا و استخدمت حجارتها في تشييد السور الذي أقامه الإيطاليين حول المدينة، أما قلعة قصر البلاد فقد أزيلت في ثلاثينات القرن الماضي فترة الاحتلال الإيطالي عندما شرع الإيطاليين في تطوير المدينة، وشيد مكانها مبنى خدمي ما لبث ان تحول الي فندق لاحقا (هوتيل الجبل الاخضر)، اما قلعة الميناء فلا معلومات متوفرة عن إزالتها، وربما ازيلت فترة توسعة ميناء درنة زمن الاحتلال الإيطالي[18].كانت قلعة درنة (قصر البلاد) تقع عند الزاوية الجنوبية الشرقية لمحلة البلاد، التي تعد مركز مدينة درنة، وتشرف علي أهم الميادين بها، حيث المقار الحكومية والأسواق التجارية، والمبان الدينية، ولا نعلم تاريخ إنشاء النواة الأولي لهذه القلعة، غير انه يمكن ترجيحها لفترة السيطرة العثمانية الأولي علي المدينة، سنة 1048هـ/1639م، كما ورد في مصادر الحملة الامريكية علي درنة عام 1805م، أن عمارة هذا القصر المبكر تأثرت كثيرا نتيجة تعرضها إلي معارك الكر والفر بين قوات الجنرال الامريكي إيتون وحليفة أحمد بك القرمانلي[19]، وهذا ما دعي السلطات العثمانية أن تعيد ترميمه بمجرد سيطرتهم الثانية علي المدينة، حيث ظل هذا القصر المجدد قائما حتى فترة الثلاثينات من القرن الماضي، حيث تشير المصادر أن الايطاليين اتخذوها مقرا لحاميتهم العسكرية، ومقرا لرئاسة شرطة الكرابنييري الملكية[20].



[18] يونس امحمد اسرافيل (2018). القلاع والتحصينات العثمانية في درنة. المجلة العلمية للدراسات التاريخية والحضارية. العدد الأول. جامعة السيد محمد بن علي السنوسي. ص183.

[19] جلين تكر، 1983. معارك طرابلس بين الأسطول الليبي والأسطول الأمريكي في القرن التاسع عشر، ترجمة عمر الديراوي أبو حجلة، لندن، دار دارف المحدودة، ص607.

[20] مصطفى الطرابلسي (1999)، درنة الزاهرة، درنة. منشورات جامعة درنة. ص138.

الرحالة الذين مروا بقلعة قصر البلاد:

أول إشارة للقصر في كتب الرحالة والمسافرين، كانت عند الطبيب الإيطالي تشرفللي المرافق لحملة محمد باشا علي برقة سنة 1812م، عندما ذكر أنه محاط بالأسوار، ويتخذه الحاكم (البك) مقرا لإقامته[21]، ويرد هذا القصر أيضا لدي الطبيب الإيطالي دلا شيلا، الذي رافق ايضا حملة عسكرية أخرى سنة 1817م، والذي وصفه بأنه قلعة كبيرة تتوسط المدينة[22]، في معرض حديثه عن المجزرة الفظيعة التي ارتكبها أمير برقة السابق قبل هروبه من درنة إلي مصر، حيث كانت الدماء والجثث تملأ أرضية القلعة بحسب وصفه[23]، اما الرحالة الفرنسي ريمون باشو الذي زار المدينة سنة 1824م، فقد أشار إلي وجود قلعتين بمحلة البلاد، وصف الأولي بأنها من القلاع الكبيرة التي تضم عدة مباني ومحاطة بسور عال، وذات هندسة وعمارة جميله، وذكر بانها كانت مقرا لإقامة البك عندما يكون بالمدينة، اما القلعة الثانية فوصفها بانها أصغر من سابقتها، ومشيدة بشكل أفضل، وقد خصصت له اثناء اقامته في درنة[24].

شهد العهد العثماني الثاني (1835-1911م)، إقامة وتجديد العديد من القلاع في اقليم برقة، مثل قلعة بنغازي التي أعيد بناءها عام 1842م[25]، وقلعة المرج التي شرع ببنائها والي برقة طوسون باشا سنة 1840م[26]، وقلعة القيقب التي يرجع تاريخ بنائها إلى سنة 1851م[27]، أما بخصوص قلعة درنة فنفهم من سياق الوثيقة موضوع البحث أن قلعة قصر البلاد تمت توسعتها في منتصف القرن التاسع عشر[28]، في تاريخ لا يتعدى عام 1860م، ومما يؤكد صحة هذا التخمين أن

---

[21] Delaporte, M. 1925. Extrait du Journal d'une expédition faîte en 1811 1812, de, Tripoli à Derne par les déserts, Tenu par M. Augustin Cervelli. in Recueil de voyages et memoires publié par la societe de geographie, Paris, P24.

[22] ديلا شيلا. 1968. أخبار الحملة العسكرية التي خرجت من طرابلس الي برقة في عام 1817م، ترجمة الهادي بولقمة. طرابلس. منشورات مكتبة الفكر، ص77.

23 نفسه، ص78.

[24] Pacho. R, 1827. Relation dun voyage dans la Marmarique, la Cyrenaique, et les oasis d' Audjelah et de Maradèh, Paris: Librairie de firmin didot père et fils, P97.

[25] جود تشايلد، 1962، تاريخ مدينة بنغازي، ترجمة صالح جبريل، طرابلس، مطبعة وزارة الاعلام والثقافة، ص 33.

[26] محمد مصطفى بازامه. 1994. برقة في العهد العثماني الثاني. بيروت. دار الحوار. ص59.

[27] جيمس هاملتون (د.ت)، رحلات في شمال افريقيا، ترجمة المبروك الصويعي، مكتبة الفرجاني. طرابلس، ص133.

[28] انظر الوثيقة بالملحق رقم (1)

الإنجليزي بورشير اثناء تواجده بمدينة درنة في الفترة ما بين (27 فبراير -2مارس 1861م)، قام برسم جانب من هذه القلعة (ملحق 1)، بل وحدد تاريخ بنائها بنفس الوقت الذي بنيت فيه قلعتي المرج والقيقب[29]، ومن الرحالة الذين مروا بالقلعة وتحدثوا عنها: الرحالة والمكتشف الإيطالي هايمن، الذي زار مدينة درنة عام 1881م، وذكر أن القلعة مزودة بأبراج ضخمة، وتشرف علي الميدان الرئيسي، ويتخذها قائم مقام المدينة مقرا له ولحاميته العسكرية، وقد ترك لنا هايمن رسما يظهر مدخل القلعة الفخم، وبجانبه حارسان مسلحان (ملحق 2)[30]، يشير روفيري أنه في عام 1901م تم شحن قلعة قصر البلاد بحامية عسكرية بقوة 600 جندي تركي[31]، كما يورد الرحالة الفرنسي هنري ماتويزيو الذي زار درنة سنة 1906م، بأن القلعة كانت مقرا لقائم المقام، وهو عقيد كهل تجاوز عمرة الثانية والتسعين، ونفهم من سرده أن القلعة كانت مشحونة بحامية من الضباط والجنود[32]، وهذا ما ذكره فرانشسكو ايضا في معرض حديثه عن مدينة درنة قبيل الاحتلال الإيطالي، حيث أورد أن مقر القائمقام يوجد بالميدان الرئيسي للبلدة، وكان مشحونا بأعضاء الحامية التركية التي تسيطر علي المدينة[33]، مما يدل على مدى أهمية القلعة بالنسبة للمنطقة بصفه عامة والتي كانت تشهد العديد من الاضطرابات في تلك الفترة، وأخر ذكر للقلعة خلال العصر العثماني، كانت عند كيكا التي زارها عام 1910 والتقى بالقائم مقام بها[34].

الوصف المعماري للقصر:

يرجع الفضل للرسومات التي تركها بعض الرحالة الأجانب اثناء زيارتهم لمدينة درنة، في إظهار بعض التفاصيل المعمارية لقلعة قصر البلاد، حيث تظهر هذه الرسوم أن الشكل العام للقلعة لا يختلف كثيرا عن تخطيط مثيلاتها من قلاع إقليم برقة العثمانية في القيقب والمرج وبنغازي، من

---

[29] Smith M. & E. A. Porcher, 1864. history of the recent discoveries at Cyrene. London. p60.

[30] Haimann. G, 1886, Cirenaica, Milano, P.104

[31] فرانشيسكو روفيري، 2003. عرض للوقائع التاريخية البرقاوية، التاريخ الكرو ولوجي، ترجمة ابراهيم احمد المهدوي، طرابلس، مركز جهاد الليبيين، ص165.

[32] ماتويزيو، رحلة إلي طرابلس وبرقة، ترجمة جمعة عطية المحفوظي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 2002م، ط1، ص157.

[33] فرانشسكو كورو، ليبيا اثناء العهد العثماني الثاني، تعريب خليفة التليسي، منشورات الدار العربية للكتاب، تونس، ط2، 2003م، ص117.

[34] Socrate Checchi, 1912, Cirenaica, Roma, Enrico Voghera, p245.

ناحية الأسوار والأبراج الدائرية الركنية (ملحق 3، والملحقات والفناء الداخلي، كما يتبين أنها ذات مخطط مستطيل الشكل، ومحصنه بجدران ضخمة من المداميك الحجرية، وتربض عند زوايا القلعة الأربعة ابراج شبه دائريه، ذات قواعد عريضة تضيق كلما ارتفعت الي الأعلى، وقد توجت هذه الأبراج بشرفة مزودة بدراوي لحجب الرؤية، وزودت بفتحات للمدفعية، كما تظهر في أعلي البرج الركني نافذة تبدو وكأنها مصمتة، وتظهر الواجهة الأمامية وقد زودت بصف من المزاغل ذات الاستطالة العمودية، ويتوسط هذه الواجهة مدخلا فخما قوامه كتله كبيرة مربعة تبرز عن سمت الواجهة، يتوسطها مدخلا عبارة عن عقد نصف دائري صخم يستند علي دعامتين حجريتين مربعتين تعلوها اكتاف مربعة محززة، ويعلو هذا العقد الضخم صف من الصنجات التزيينية مفتاح عقدها يأخذ شكلا زخرفيا مميزا، ويؤطر هذا العقد بعدة حزوز زخرفية متفاوتة البروز وصولا إلي حواف كتلة المدخل، التي تتوجها في الأعلى ستارة تنتهي بعقد موتور، ويرى الدراجي[35] بخصوص هذا المدخل انه مشيد على الطراز الاوربي الذي شاع في عصر النهضة، المتأثر كثيرا بالمداخل الرومانية الفخمة التي كانت تتوج عادة بقوصرة (pediment) او كما تسمى احيانا بالجبين المثلث، ويتناسب حجم الكتلة مع سعة القلعة وفخامة سورها.

وبحسب مقارنة مخطط قلعة درنة مع مخططات قلاع الاقليم الأخرى، وما ورد عنها من معلومات عند بعض الرحالة والكتاب، فإن البوابة الرئيسية تفضي إلى ممر محاط بحجرتين في العادة تكون للحراسة واستقبال الضيوف، ثم يستمر الممر حتى الصحن المركزي المكشوف الذي تحيط به اربعة اجنحه مسقوفة، ومن الصحن يُصعد بسلم خشبي إلي دور ثان يتكون من قاعة وردهة عليا مخصصه للاستقبال تفضي بدورها إلي مكتب القائم مقام، المخصص له غرفة كبيرة مستطيلة بسقف منخفض وجدران بيضاء[36]، وقد لاحظ الضابط الانجليزي بورشير أن جدران غرفة الاستقبال الرئيسية بالقلعة ذات بياض ناصع، فيما كانت بعض أعمال الأرابيسك الرائعة الملونة

[35] سعدي ابراهيم الدراجي، القلاع العثمانية في برقة 1638–1912م، اعمال المؤتمر العالمي الخامس لمدونة الأثار العثمانية، المنعقد في الفترة 21–23 سبتمبر 2001م، حول القلاع والتحصينات العسكرية والتأثيرات الفنية العثمانية، اشراف عبد الجليل التميمي، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، فيفري 2003م، ص42.

[36] Socrate Checchi, 1912, op. Cit. P247.

بالأحمر والاسود تزين ارجائها[37]، كما أشار أيضا أن ملاحق القلعة في حالة ممتازة، وبخصوص الأجنحة الأربعة التي تحيط بالصحن، فهي علي شكل قاعات كبيره مجهزه بكافة اللوازم التي من شأنها ان تساعه الجند علي الاقامة، خصوصا أن بورشير وكورور قد أشارا إلي تواجد أعداد كبيرة تصل إلي فرقتين أو خمسمائة جندي[38]، كما خصص جزء كإسطبل مخصص لإيواء الخيول والحيوانات الاخرى، وكانت جميع القاعات تستمد اضاءتها وتهويتها من النوافذ المتوجه بعقود منخفضه كانت موزعة بانتظام علي السور الخارجي للقلعة وابراجها كما هو الحال في قلعتي بنغازي والمرج[39]، كما كانت القلعة تضم في دهاليزها مكانا مخصصا ليكون سجنا للمدينة، ولعل واقعة سجن سائس الأبل التي أشار إليها بورشير وسجنه داخل القلعة ما يؤكد ذلك.

الوثائق العثمانية المتعلقة بقصر درنة:

1) وثيقة سنة 1262هـ/ 1846م: (الملحق 5)

كتبت بخط عربي واضح القراءة، وهي عبارة عن مضبطة لمحضر اجتماع ضم أعيان مدينتي بنغازي ودرنة، مرفوعة إلي محمد أمين باشا والي إيالة طرابلس[40]، بشأن مصاريف تعمير قصر درنة، وطلبهم صرف مبلغ وقدره سبعة عشر ألف وثلاثمائة وسبع وتسعون قرشا وعشر بارات من صندوق الميري بقضاء درنة، وتعهد مدير قضاء درنة المدعو محمد دربي وأعضاء مجلسه أن يقوموا بتحصيل المبلغ ورده إلي الصندوق بتوزيع القيمة علي أهالي وبلدات قضاء درنة لاسترجاعها ضمن إيرادات سنة 1262هـ.



تتكون الوثيقة من ثلاثة أجزاء: الجزء الأول خاص بمقدمي العريضة (مدير وأعيان قضاء درنة)، للأسف مفقود من الوثيقة، ويبدوا أنه كان يحمل طلب المجلس بصرف مبلغ لغرض إجراء صيانة لقصر الحكومة، ويظهر فقط من هذا الجزء حواف أختام المجلس، بالإضافة إلي توقيعين

[37] . M. Smith & E. A. Porcher, op. Cit. p60.
[38] . M. Smith& E.A. Porcher, op. Cit, Plate 48, p61.

[39] الدراجي، المرجع السابق، ص45.

[40] هو الوزير محمد أمين باشا، عُين واليا علي طرابلس سنة 1258/ 1842م، وقام بالعديد من الإصلاحات في الايالة، وعزل محمد أمين سنة 1263هـ/ 1847م. انظر: الطاهر أحمد الزاوي 1970، ولاة طرابلس، بيروت، دار الفتح، ص247-248م.

وختمين كاملين الأول توقيع وختم الشيخ الحاج حمد بدر، والثاني توقيع وختم الشيخ أحمد البيجو، أما الجزء الثاني من الوثيقة خاص بالضامنين (مجلس أعيان بنغازي)، فهو واضح وجلي، وفيه أقر مجلس أعيان بنغازي بحاجة مدير وأعضاء مجلس قضاء درنة اقتراض مبلغ مالي من صندوق الميري الخاص بهم لصرفها علي تعمير قصر درنة، علي أن يتم سدادها عن طريق فرض الضرائب علي الأهالي خلال سنة 1262هـ/ 1846م، ونظرا لكون قضاء درنة تابعا لبنغازي كان من الضروري أن يمرر طلبهم علي مجلس أعيان بنغازي لاعتماده وضمان ماورد فيه أمام السلطة الحاكمة بطرابلس، فيما خصص الجزء الثالث لموافقة مجلس الايالة (مجلس إيالة طرابلس غرب)، حيث تمت فيه الموافقة علي طلب مجلس أعيان درنة بشأن المبلغ المطلوب لتعمير قصر درنة الحكومي، مع التشديد علي إرجاع المبلغ عن طريق الأهالي قبل انتهاء المدة المحددة.

2) وثيقة سنة 1283هـ/ 1867م[41]: (الملحق 6)

وثيقة مكتوبة بالخط العثماني، تتناول موضوع صيانة وترميم قصر الحكومة ببنغازي، وتشير إلي تهالك أبراج القصر المطلة علي البحر نتيجة العاصفة التي حدثت مؤخرا، وأن الموضع المخصص لمدير قضاء درنة، هو عبارة عن غرفة داخل ثكنة للعساكر النظامية، كما لا يوجد في الأقضية الأخرى مقرات لحكوماتها، ولأجل هذا كان الشعور بالامتنان من نية الشروع في إنشاء وتعمير مقرات لكل من حكومة بنغازي وحكومة درنة بمساعدة الأهالي ودون إثقال الخزينة، والتي يبلغ إجماليها واحد وثمانون ألف ومائتان وثلاثة وثلاثون قرشا هي مصروفات البناء يتم استرجاعها من أهالي مدينتي بنغازي ودرنة. بقية الوثيقة تشير إلي كيفية طرق جبايتها من السكان.



الخاتمة

ورد في مذكرات الرحالة الذين مروا بمدينة درنه خلال القرن التاسع عشر، وجود ثلاث قلاع دفاعية شيدت جميعها خلال العهد العثماني، وهذه القلاع هي: قلعة قصر الحاكم (قلعة البلاد)، وقلعة الميناء عند شاطئ البحر، وقلعة الحصار أو القلعة الامريكية التي اقيمت عند التلال الجنوبية

[41] صالح السعداوي (2013). وثائق طرابلس غرب، النسخة العربية. رقم الكتاب 125. رئاسة دائرة الأرشيف العثماني. إسطنبول. طباعة سجيل أوفست. ص186.

الغربية للمدينة، وقد تلاشت هذه القلاع وأصبحت أثرا بعد عين نتيجة اندثارها بفعل عدة عوامل بشرية وطبيعية متنوعة.

أهم هذه القلاع قلعة درنة (قصر البلاد) التي تقع عند مركز مدينة درنة، وتشرف علي أهم الميادين بها، حيث المقار الحكومية والأسواق التجارية، والمبان الدينية، ولا نعلم تاريخ إنشاء النواة الأولي لهذه القلعة، غير انه يمكن ترجيحها لفترة السيطرة العثمانية الأولي علي المدينة، سنة 1048هـ/1639م، وشهدت القلعة إعادة تجديد خلال العهد العثماني الثاني (1835-1911م)، حيث نفهم من سياق الوثيقة موضوع البحث أن قلعة قصر البلاد تمت صيانتها وتعميرها في منتصف القرن التاسع عشر، في تاريخ لا يتعدى عام 1860م، ومما يؤكد صحة هذا أن الإنجليزي بورشير اثناء زيارته لمدينة درنة في الفترة ما بين (27 فبراير -2مارس 1861م)، وقام برسم جانب من هذه القلعة، حدد تاريخ بنائها بنفس الوقت الذي بنيت فيه قلعتي المرج والقيقب، ويرجع الفضل لملاحظات الرحالة الأجانب ورسوماتهم التي تركوها اثناء زيارتهم لمدينة درنة، في إظهار بعض التفاصيل المعمارية لقلعة قصر البلاد موضوع البحث، حيث أظهرت أن الشكل العام للقلعة لا يختلف كثيرا عن تخطيط مثيلاتها من قلاع إقليم برقة العثمانية في القيقب والمرج وبنغازي، من ناحية الأسوار والأبراج الدائرية الركنية، والملحقات والفناء الداخلي، كما يتبين أنها ذات مخطط مستطيل الشكل، ومحصنه بجدران ضخمة من المداميك الحجرية، وتربض عند زوايا القلعة الأربعة ابراج شبه دائريه، ذات قواعد عريضة تضيق كلما ارتفعت الي الأعلى.



ومن جانب أخر فقد أكدت الوثائق العثمانية المعروضة مدى تفنن السلاطين العثمانيون وولاتهم في فرض الضرائب المتنوعة علي الأهالي من أجل تعمير المباني العامة وصيانتها، وهذا ما حدث تماما عندما فرض الأتراك علي أهالي درنة والبلدات المجاورة لها ضرائب مالية لترميم قصر الحكومة بالمدينة وذلك في مناسبتين مختلفتين خلال العهد العثماني الثاني.

المراجع

1) ابن غلبون، ابو عبد الله محمد (2004). التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخيار. تحقيق الطاهر أحمد الزاوي. بيروت. دار المدار الاسلامي.

2) اسرافيل، يونس امحمد (2018). القلاع والتحصينات العثمانية في درنة. المجلة العلمية للدراسات التاريخية والحضارية. العدد الأول. جامعة السيد محمد بن علي السنوسي.

3) بازامة، محمد مصطفى (1994). تاريخ برقة في العصر العثماني. الجزء الأول. بيروت. دار الحوار.

4) برنيا، كوستانزيو (1985). طرابلس من 1510 إلي 1850م، ترجمة خليفة التليسي. مصراتة. الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان.

5) تشايلد، جود (1962). تاريخ مدينة بنغازي. ترجمة صالح جبريل. طرابلس. مطبعة وزارة الاعلام والثقافة.

6) تكر، جلين (1983). معارك طرابلس بين الأسطول الليبي والأسطول الأمريكي في القرن التاسع عشر. ترجمة عمر الديراوي أبو حجلة، لندن. دار دارف المحدودة.



7) الدراجي، سعدي ابراهيم (2003). القلاع العثمانية في برقة 1638-1912م، اعمال المؤتمر العالمي الخامس لمدونة الأثار العثمانية، المنعقد في الفترة 21-23 سبتمبر 2001م، حول القلاع والتحصينات العسكرية والتأثيرات الفنية العثمانية، اشراف عبد الجليل التميمي، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس.

8) ديلا شيلا. (1968). أخبار الحملة العسكرية التي خرجت من طرابلس الي برقة في عام 1817م، ترجمة الهادي بولقمة. طرابلس. منشورات مكتبة الفكر.

9) روسي، اتوري (1991). ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911. ترجمة خليفة التليسي. ط2. طرابلس. الدار العربية للكتاب.

10) روفيري، فرانشيسكو (2003). عرض للوقائع التاريخية البرقاوية، التاريخ الكرونولوجي لبرقة (1551-1911م)، ترجمة ابراهيم المهدوي. طرابلس. مركز جهاد الليبيين.

11) الزاوي، الطاهر أحمد (1970). ولاة طرابلس من الفتح العربي حتى نهاية العهد التركي. بيروت. دار الفتح للطباعة والنشر.

12) السعداوي، صالح (2013). وثائق طرابلس غرب، النسخة العربية. رقم الكتاب 125. رئاسة دائرة الأرشيف العثماني. إسطنبول. طباعة سجيل أوفست.

13) الطرابلسي، مصطفى عبد العزيز. (1999)، درنة الزاهرة قديما وحديثا، درنة. منشورات جامعة درنة.

14) العياشي، أبو سالم عبدالله (2006). الرحلة العياشية 1661-1663. تحقيق سعيد الفاضلي وسليمان القرشي. الجزء الأول. ابوظبي. دار السويدي.

15) فيرو، شارل (1994). الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي. ترجمة محمد عبد الكريم الوافي. ط3. بنغازي. منشورات جامعة قاريونس.

16) كورو، فرانشسكو (2003). ليبيا اثناء العهد العثماني الثاني، تعريب خليفة التليسي. ط3. تونس. منشورات الدار العربية للكتاب.



17) ماتويزيو (2002). رحلة إلي طرابلس وبرقة. ترجمة جمعة عطية المحفوظي. بنغازي. منشورات جامعة قاريونس. بنغازي.

18) ميكاكي، رودلفو (1961). طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي. طرابلس. دار الفرجاني.

19) الناصري، ابو العباس محمد (2011). الرحلة الناصرية 1709-1710م. تحقيق عبدالحفيظ ملوكي. ابوظبي. دار السويدي.

20) النائب، أحمد بك (1970). المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب. طرابلس. مكتبة الفرجاني.

21) هاملتون، جيمس (د.ت)، رحلات في شمال افريقيا، ترجمة المبروك الصويعي. طرابلس. مكتبة الفرجاني.

22) Della-Cella (1830) Viaggio da Tripoli di Barberia alle frontere occidental dell Egitto, fatto nel 1817, dal D. Napoli.

23) Delaporte, M. 1925. Extrait du Journal d'une expédition faîte en 1811 1812, de, Tripoli à Derne par les déserts, Tenu par M. Augustin Cervelli. in Recueil de voyages et memoires publié par la societe de geographie, Paris.

24) Pacho. R, 1827. Relation dun voyage dans la Marmarique, la Cyrenaique, et les oasis d' Audjelah et de Maradèh, Paris: Librairie de firmin didot père et fils, P97.

25) Smith M. & E. A. Porcher, 1864. history of the recent discoveries at Cyrene. London. p60 .

26) Haimann. Guspe, 1886, Cirenaica, Milano, P.104

27) Socrate Checchi, 1912, Cirenaica, Roma, Enrico Voghera, p245.

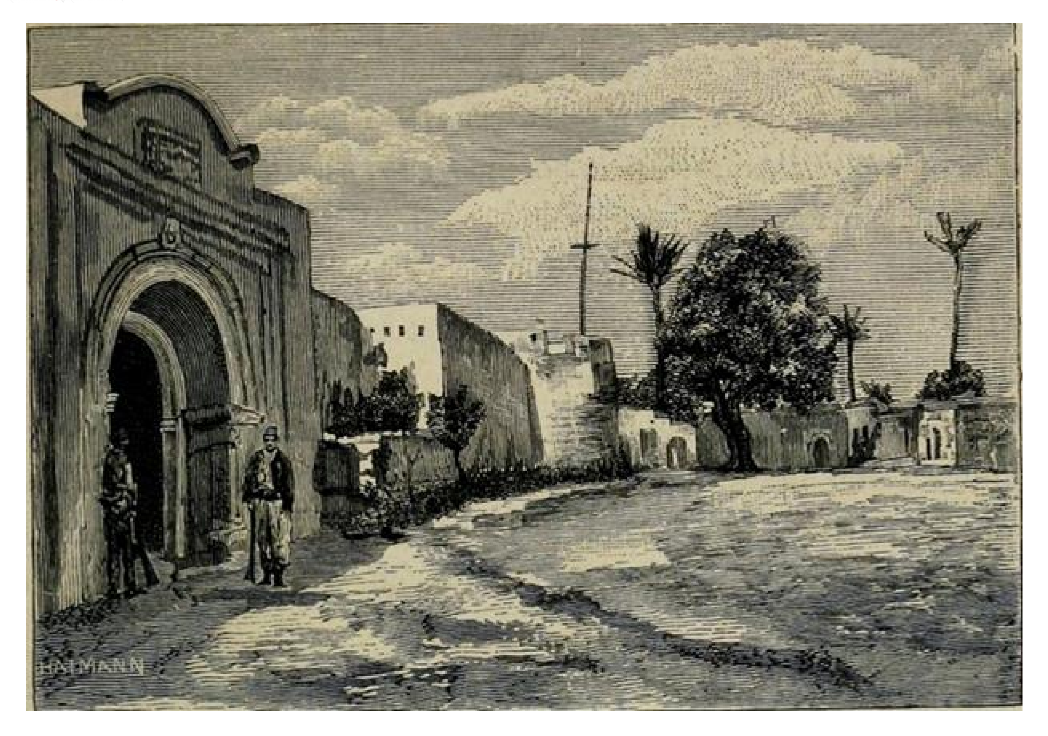


الملحق

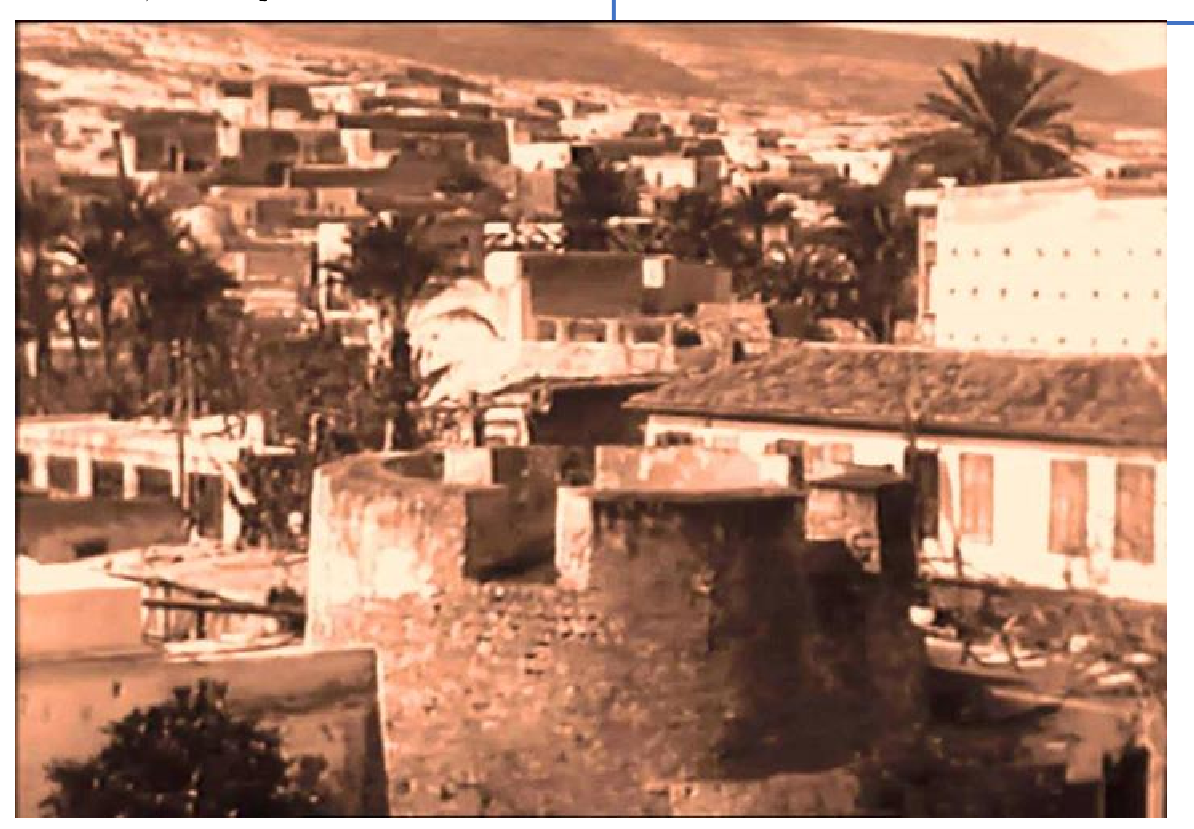




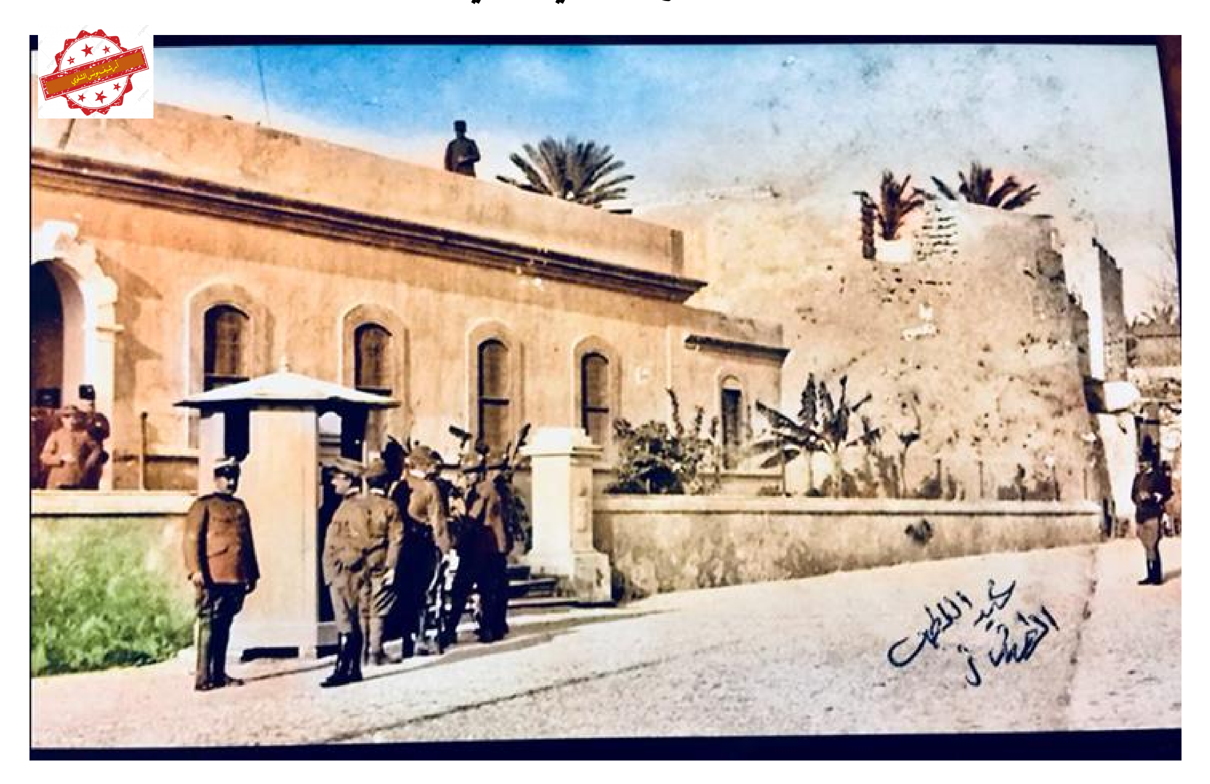
1 قلعة قصر البلاد كما رسمها بورشير 1861م



2قلعة قصر البلاد كما رسمها هايمن 1881م

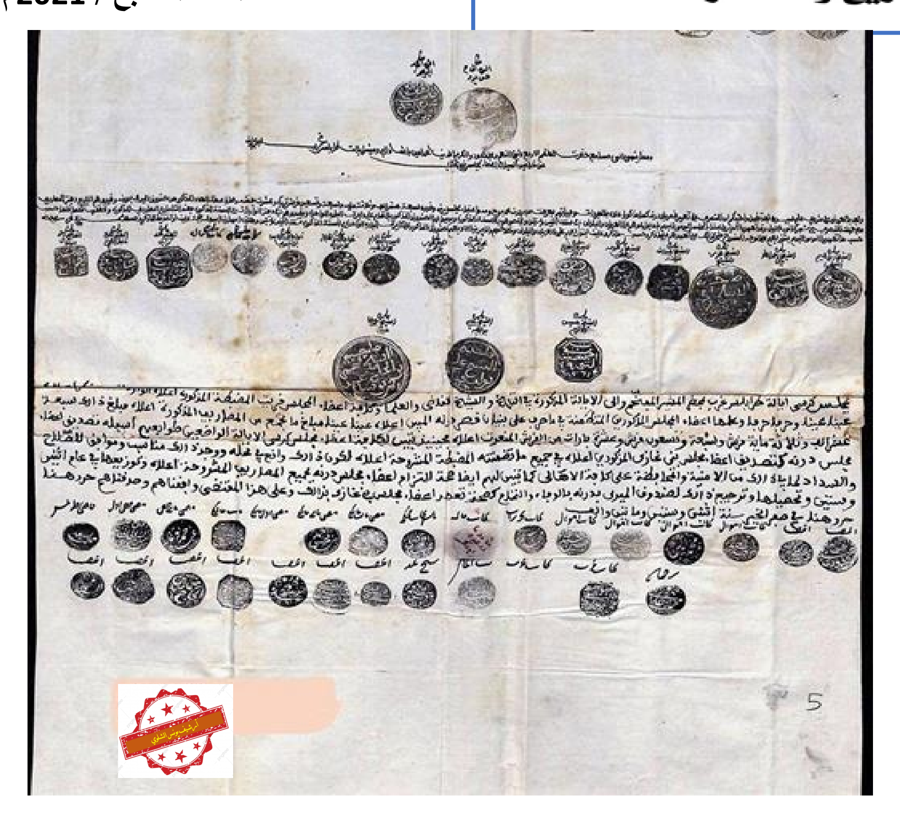


3 البرج الشمالي الغربي



4 أخر ظهور لأبراج القلعة قبل إزالتها





5 وثيقة 1262هـ



6 وثيقة سنة 1283هـ